نعمة الأمن

خطبة ألقاها

الشيخ أ.د. سليمان بن سليم الله الرحيلي

أستاذ كرسي الفتوى بالجامعة الإسلامية والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

يوم ٢٨ صفر ١٤٣٩ بالمدينة النبوية

[الخطبة الأولى]

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، من يهد الله فلا مُضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١]

أمّا بعد: فإنّ خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار، ثم:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥﴾ [فاطر:١٥].

فربنا سبحانه وتعالى هو الغني غنىً مطلقاً، فلا تنفعه طاعات الطائعين، ولا تضرّه معاصي العاصين، ونحن الفقراء إلى الله، فلا حول لنا ولا قوة إلا بالله، وكل خير نحن فيه في ديننا أو دُنيانا فإنما هو من ربنا سبحانه وتعالى، فلو لا الله ما اهتدينا، ولا صُمنا ولا صلَّينا، ولا أكلنا ولا شربنا ولا اكتسبنا ولا سعَينا، فلله الأمر من قبل ومن بعد، وله الحمد على كل حال، وهو المُنعم سبحانه.

فنحن –يا عباد الله– نتقلب في نعم الله ليل نهار، مهما كان حال أحدنا فإنه يتقلب في نعم الله، ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [إبراهيم:٣٤].

وإن العبد منا –يا عباد الله– لا يهنأ عيشه، ولا يتنعّم بنعم ربه، إلا إذا كان آمناً في نفسه وبلده، مطمئن القلب.

ولعظم هتين النعمتين جمع الله بينهما في المثال العظيم الذي ضربه، ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرۡيَةً كَانَتۡ ءَامِنَةً مُّطۡمَئِنَّةً﴾ [النحل:١١٢].

فالأمن -يا عباد الله- من أعظم نعم الله عزوجل، وبوجوده يتنعّم العبد بنعم ربه سبحانه عليه، ولذا امتنّ ربنا سبحانه بالأمن على عباده، والعظيمُ سبحانه لا يمتنّ إلا بعظيم، ﴿أَوَ لَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ﴾ [العنكبوت:٦٧].

وقال ربنا سبحانه: ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ٤﴾ [قريش:٣-٤].

وامتن الله عزوجل به على بعض الأمم السابقة، ﴿وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ٨٢﴾ [الحجر:٨٢].

وكان أهل الجنة آمنين عند دخولها، آمنين عند تنعّمهم بنعيمها، ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ٤٦﴾ [الحجر:٤٦]، جعلني الله وإياكم ومن نحب ممن يقال لهم هذا القول الكريم؛ ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ٤٦﴾ [الحجر:٤٦]، ﴿يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ٥٥﴾ [الدخان:٥٥].

فهم -يا عباد الله- آمنون عند دخولها، آمنون عند التنعّم بنعيمها.

ولعظم الأمن دعا به أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام، ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ [البقرة:١٢٦].

فالأمن -يا عباد الله- نعمة عظمى، ومنة كبرى، ولذا كان السعي في تحصيل الأمن، والمحافظة على الأمن، من أوجب الواجبات في ديننا.

والسعي في تحصيل الأمن، والمحافظة على على الأمن -يا عباد الله-، مسؤولية مشتركة بين الدولة والأفراد.

فالأفراد في الدولة -سواء كانوا من أهلها، أو كانوا من المقيمين فيها، الذين يشاركون في بنائها، ويتبادلون المنافع مع أهلها، أو كانوا من زائريها- عليهم مسؤولية عظمى في تحصيل الأمن، والمحافظة على الأمن.

وإن المطلوب من الأفراد –يا عباد الله– في هذا الباب يعود إلى ثلاثة أمور:

أما الأمر الأول: فهو القيام بحقوق الله عز وجل.

وأما الأمر الثاني: فهو أداء حقوق عباد الله عز وجل.

وأما الأمر الثالث: فهو التزام الأنظمة التي لا تخالف شرع الله عز وجل.

أما الأمر الأول –يا عباد الله–: فهو تحقيق التوحيد، وعمل الصالحات، فمن حقق التوحيد، وعمل الصالحات، فقد أدّى حق الله عز وجل، ومن أدّى حق الله فليبشر بكل خير، ورفعة، وعزة، وأمن، في الدنيا والآخرة، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام:٨٢].

فمن حقق التوحيد –يا عباد الله–، وبذل جهده في عمل الصالحات، جلب الأمن لنفسه، ولمن حوله، وكان آمناً في الدنيا والآخرة.

فواجب علينا –يا عباد الله– أن نحقق التوحيد، وأن نعمل بالصالحات، وأن نربي أسرنا على هذا الأصل العظيم، فهو سر السعادة، وأُسّها، وأصلها، في الدنيا والآخرة، وهو أصل الفلاح في الدنيا والآخرة، فما سعِد، ولا أفلَح، ولا أمِن حقّاً، إلا من وحّد الله سبحانه، وتابع رسوله ﷺ، وكان من الصالحين.

وأما الأمر الثاني –وهو أداء حقوق الخلق–: فإنه –يا عباد الله– يكون بأدائها بالعدل، فإن ترقّى الإنسان إلى الكمال أدّاها بالفضل، يقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل:٩٠]، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء:٥٨].

فواجب علينا أن نصل ما أمرنا الله عز وجل بوصله، وأن نؤدّي الحقوق إلى أهلها، وإذا أُدِّيت الحقوق جاء الخير إلى البشر من رب البشر، فمن وصل رحمه وصله الله، ومن أدّى الحقوق أكرمه الله عز وجل.

وإن من الحقوق التي يجب على الإنسان أن يؤدّيها: حقوق الأُجَراء؛ إذا استأجر الإنسان أجيراً، فإن الواجب عليه أن يعطيه حقّه، يقول النبي ﷺ: «أعطوا الأجير أجره قبل أن يجِفّ عرقه».

وفي حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «قال الله عز وجل: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة» -ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة!- «رجل عاهد بي ثم غدر، ورجل باع حُرّاً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً، فاستوفى منه، ولم يُعطِه حقه».

ثلاثة؛ انظروا -يا عباد الله- إلى عظم خسارتهم، ومتى؟ في يوم القيامة! يوم ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ [الحج:٢]، في ذلك اليوم تعظم خسارتهم، ويعظم مُصابهم، إن الله القوي العزيز يكون خصمهم في ذلك اليوم -والعياذ بالله-، ما أعظم تلك الخسارة!

ومنهم -يا عباد الله-: رجل استأجر أجيراً، فاستوفى منه العمل، ولم يُعطِه أجره، والغالب أن الأجير يكون ضعيفاً، فيتقوّى عليه مَن استأجره، بقوّته، أو أنه من أهل البلد، أو غير ذلك، فتكون العاقبة بظلمه لذلك الأجير أن يكون الله عز وجل خصمه يوم القيامة.

والمعلوم -يا عباد الله- أن الحقوق إذا أُدِّيت جاء الخير من الله عز وجل، أما إذا قُطع ما أمر الله به أن يوصَل، ولم تُؤدَّ الحقوق، حصلت الخسارة، وانعدم الأمن -يا عباد الله-، ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٢٦ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٢٧﴾ [البقرة:٢٦-٢٧].

فواجب علينا -عباد الله- أن نؤدّي الحقوق إلى أهلها، ولا سيما إلى الضعفاء من عباد الله.

وأما الأمر الثالث: فهو التزام الأنظمة التي لا تخالف شرع الله، وهذا -يا عباد الله- من أعظم الأصول التي جاء بها ديننا، يقول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ﴾ [النساء:٥٩].

ويقول النبي ﷺ مبشّراً ومحذّراً: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يُطع الأمير فقد أطاعني، ومن عصى الأمير فقد عصاني».

ويقول النبي ﷺ: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، ما لم يؤمَر بمعصية، فإن أُمِر بمعصية فلا سمع ولا طاعة».

ويقول ﷺ: «عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك، ومنشطك ومكرهك، وأثرةٍ عليك»، فعليك أيها المؤمن -عليك أيها المؤمن- أن تسمع وتطيع لمن تولّى أمرك، في عسرك وفي يسرك، وفي منشطك وفي مكرهك، وفي أثرةٍ عليك.

والنصوص في هذا كثيرة جداً -يا عباد الله-، فواجب علينا جميعاً أن نلتزم الأنظمة التي يُصدرها ولي الأمر، مما لا يعارض شرع الله.

وبحمد الله نحن في بلد يُحكَم بشرع الله، ولا يُصدَر نظام يخالف شرع الله سبحانه وتعالى، فنحمد الله عز وجل على هذه النعمة، ونسأل الله أن يهدينا، ويهدي ولاة أمرنا، إلى ما يحب ويرضى.

فواجب علينا -يا عباد الله- أن نلتزم هذه الأنظمة التي تحقق الأمن والخير والبركة، فإن هذا من واجبات ديننا، وإن الدولة -أعزّها الله- تسعى جاهدة إلى تحصيل الأمن لنا جميعاً، وتحقيق الأمن لنا جميعاً، وإلى المحافظة على الأمن، وتُصدر الأنظمة التي تحقّق ذلك، فواجب علينا أن نلتزمها، وأن نتواصى بالتزامها -يا عباد الله-.

ومن المعلوم أن مما قد يُخِلّ بالأمن: أن يوجد في البلد أقوام ليس لهم مرجع نظامي، ولا يُعرَفون، فإنّ هذا قد يُخِلّ بأمن البلاد، وإن الدولة -وفقها الله- حريصة على أن تضبط هذا الأمر بما يحقق مصالح الجميع، والعدل للجميع، بما يحقق مصالح أهل البلاد، والمقيمين فيها، والزائرين لها، من العمّار والحجّاج والزوّار، فواجب علينا جميعاً أن نتعاون مع الدولة فيما يحقق هذا المقصد الشريف.

فاتقوا الله -عباد الله- ما استطعتم، ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة:٢].

أقول ما سمعتم، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد فيا معاشر عباد الله:

قد ذكرنا أن العبد لا يهنأ عيشه، ولا يتنعّم بنعم ربه، إلا إذا كان آمناً في نفسه وبلده، وكان مطمئن القلب، وإن اطمئنان القلب -يا عباد الله- لا يحصل إلا بالإقبال على الله عز وجل -لا يحصل إلا بالإقبال

على الله عزّ وجلّ-، وكثرة ذكره وما والاه، يقول الله عزّ وجلّ: ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [الرعد:٢٨]، ويقول النبي ﷺ: «من كانت الآخرة همَّه جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شملَه، وأتته الدنيا وهي راغمة».

فيا عبد الله، إن القلب له شُعَب، وإن القلب -يا عبد الله- لا يجتمع شملُه إلا إذا أقبلتَ على ربك سبحانه وتعالى، فإذا أردت -يا عبد الله- أن تُكفى الهموم، وأن يطمئن قلبك، وأن تتنعّم بالنعم، فعليك -يا عبد الله- أن تُقبِل إلى الله عزّ وجلّ، وأن تعبد الله، وأن تذكر الله، وأن تستعيذ بالله مما يَصرفك أو من يَصرفك عن صراط الله المستقيم، وأن تلزم مجالس عباد الله الصالحين، لتكون من المفلحين.

ثم اعلم -يا عبد الله- أن من خير كلامك أن تصلي وتسلم على نبيك ﷺ، فإن الله عزّ وجلّ قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦].

وقال النبي ﷺ: «من صلى علي واحدةً صلى الله عليه بها عشراً».

وقال ﷺ: «من صلى علي واحدةً صلى الله عليه عشر صلوات، وحطّ عنه عشر خطيئات، ورفع له عشر درجات».

وقال ﷺ: «ما من عبد يصلي عليّ إلا صلت عليه الملائكة ما دام يصلي عليّ» -قال ﷺ: «ما من عبد يصلي عليّ إلا صلت عليه الملائكة ما دام يصلي عليّ»-.

ألا فأكرموا أنفسكم -عباد الله-، وقوموا بحق نبيكم ﷺ، بكثرة الصلاة والسلام عليه ﷺ.

فاللهمّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

وارضَ اللهمّ عن الصحابة أجمعين، اللهمّ ارضَ عن الصحابة، وارضَ عمّن أحب الصحابة، اللهمّ ارضَ عن الصحابة، وارضَ عمّن أحب الصحابة، اللهمّ ارضَ عن الصحابة، وارضَ عمّن أحب الصحابة، واجعلنا يا ربنا ممن اتّبعهم بإحسان يا رب العالمين، واجعلنا يا ربنا ممن اتّبعهم بإحسان يا رب العالمين، واجعلنا يا ربنا ممن اتّبعهم بإحسان يا رب العالمين.

إلهنا، قد اجتمعنا في بيت من بيوتك، نؤدي هذه الفريضة العظيمة، وما لنا إلا الرجاء أن ترحمنا وتغفر لنا، اللهمّ فارحمنا واغفر لنا أجمعين، اللهمّ فارحمنا واغفر لنا أجمعين، اللهمّ فارحمنا واغفر لنا أجمعين.

اللهمّ إنا ظلمنا أنفسنا ظلما كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لنا مغفرة من عندك وارحمنا، إنك أنت الغفور الرحيم.

إلهنا، قد أذنبنا، وظلمنا أنفسنا، وحمّلنا أنفسنا الأوزار، وقد دخلنا بيتك وأنت أرحم الراحمين، تُكرم ضيفك، تُكرم ضيفك، تُكرم ضيفك، اللهمّ فأكرمنا بالمغفرة، اللهمّ فأكرمنا بالمغفرة، اللهمّ فأكرمنا بالمغفرة يا رب العالمين.

اللهمّ يا ربنا إنك تعلم ولا نعلم، وتقدر ولا نقدر، وأنت بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، إنما أمرك إذا أردت شيئاً أن تقول له كن فيكون، اللهمّ فإن علمت أن فينا أو لنا مهموماً اللهمّ فارفع همَّه، اللهمّ اكفِه همّه، اللهمّ إن علمت أن فينا أو لنا مديناً اللهمّ فاقضِ عنه دينه، اللهمّ إن علمت أن فينا أو من أحبابنا مبتلىً اللهمّ فارفع عنه بلاءه يا رب العالمين، اللهمّ إن علمت أن منا أو من أحبابنا مَن كان مسحوراً، أو مُصاباً بعين، اللهمّ فارفع عنه، اللهمّ فارفع عنه، اللهمّ فارفع عنه يا رب العالمين.

اللهمّ إنا نعوذ بكلماتك التامة، من كل شيطان وهامةّ، ومن كل عين لامّة يا رب العالمين.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

اللهمّ اجعل باقي حياتنا خيراً لنا يا رب العالمين.

إلهنا، إلهنا، اغفر لنا ما مضى من ذنوبنا، واجعل باقي حياتنا خيراً لنا يا رب العالمين، واجعل خير أيامنا يوم نلقاك يا رب العالمين.

اللهمّ يا ربنا، اللهمّ يا ربنا، اجعلنا من أهل الجنة أجمعين، نتوسّل إليك بأسمائك الحسنى، وصفاتك العلى، نتوسّل إليك بكل اسم هو لك، سمّيت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علّمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، ألا تحرم أحداً منا الجنة، ألا تحرم أحداً من أحبابنا الجنة، ألا تحرم أحداً من أهلنا الجنة.

يا رب، يا كريم، دعوناك فأجب دعاءنا، دعوناك فأجب دعاءنا، دعوناك فأجب دعاءنا.

هذا، والله تعالى أعلى وأعلم، وصلى الله على نبينا وسلم.